الثور الجريح!

زهيرة النبيلي

عم الصمت على الشقة الصغيرة. وتبودلت النظرات .. المرأة حسناء تعمل «مانيكان» عند بائع فراء مشهور .. والرجل مهندس ضخم وقوى .. ظلت المرأة تحوم حوله كأنها «مصارعة» تلف وتدور حول ثور .. وفى كل وقفة كان يتلقى طعنة أو وخزة دامية.

اظلمت نظراته السوداء من خلال رموشه الطويلة . أحد الرجل «الثور» ينظر للمرأة «المصارعة» . وعند كل وقفة يتلقى طعنة جديدة : لقد ستعتقد أنت إنسان مريض لابد لك من العلاج .. لقد انتهى كل ما بيننا أفهم؟

كان الرجل ضخما . قويا حسن الهندام . لكنه يعرج قليلا . مهندس ناجح فى الثانية والثلاثين من عمره . يعمل فى مصنع للسيارات . وأمام ثلث الثورة لم يتحرك من مكانه ولم يتذمر كما لو كان فاقد الحس تماما . ومع ذلك ظل يتابع كل ما يحدث حوله . ومن خلف رموشه السوداء الطويلة . أحد يأمل الثانية الشقراء صاحبة العيون الزرقاء . وهى تروح وتجئ داخل الشقة الأنيقة . عش الزوجية الغالب تحاول الاحتكاك به . يتحد وتطرطمه مذيرة . كأنها تقول له : «هيا .. دافع عن نفسك .. هاجمنى!»

لكن الذى حدث أنه لم يهاجمها على الإطلاق . لأنه كان يتلصص فى الكلام عندما يقال من الأفعال أو الإثارة فلا يعرف الخجوم وهو يتلجلج فى حديثه . شئ غريب حقا هذا السبب فضل الرجل الصمت والسكوت . عندما جمعت الشقراء بعض أدوات زينتها فى حقيبة صغيرة . وقد تركها دون أن يتحرك وعندما سمع صوت الباب من خلفها . لم يزل مكانه ولم يبدى أيضا . حتى بعد أن سمع باب الأسانسير يغلق عن راحلها

جاءت الثانية إلى بعض الأصدقاء . قالت فى فرح وسرور . لقد نلت عمرية فائقة على رأسه . لكنه كان رزينا . بالرغم من أنى كنت أتوقع منه الكثير . كم أنا سعيدة لأنى تركت المنزل . موف أعاود للاستحمام فى غضون ثلاثة أسابيع . وبعد العودة أنى لا يكون قد ترك المنزل ؟

وفى نفس الليلة كانت المرأة الشقراء على موعد مع كاتب إيطالى مشهور . حيث يتوجهان إلى روما . ثم من ميناء إيطالى يرسلان على ظهر نخت إلى جزر «إيوى» فى أقصى الجنوب

وفى نفس تلك الليلة أيضا مع الخامس الليل صراخا وعويلا ينبعث من نفس تلك الشقة الصغيرة . أحد الرجل الثور ! يصرخ ويحطم كل ما حوله . وعثر رجال البوليس فى اليوم التالى على أثاث المنزل محطما تماما . وفى حالة فوضى لا يمكن وصفها . الزجاجات المتناثرة محطمة ومتناثرة فى كل مكان . والسجاجيد والوسادات والمقاعد تمزق تماما . والدولاب والسكاكين غرست كلها فى الحائط . وبعد ذلك فر «الثور» من وسط الحطام . تبدأ سباق الثيران الحقيقى . لكن فى الحقيقة لم يكن هذا هو الوجه الأول الذى أثار دهشة الناس . لأن الجولة الثانية كانت أشد عنفوانا وأكثر ضراوة

فقبل أعياد الفصح بثلاثة أيام . فى عام ١٩٧٣ . لاحظ صاحب إحدى العمارات فى روما انسياب شلال داكن . الثور يخرج من تحت عتبة إحدى الشقق بالدور الثالث . على الفور وضع البوليس يده على منبع هذا الشلال . وجدوا عندما عاريا خادمة الشقراء الشابة . وقد طعنت بوحشية لا مثيل لها . وبلغت الطعنات ٣٠ طعنة بآلة حادة . والغريب أن القاتل قطع حنجرة كبيرة من شعرها الأشقر بواسطة المقص .

أما الجولة الثالثة فكانت فى اليوم التالى . وبالقرب من إحدى الفلل الإيطالية . وفى الساعة الثامنة والنصف فتحت الخادمة باب الحجرة رقم ١٧ . فرقعت «صيحة الأقطار» من يدها على الأرض . ساحة شقراء ألمانية ممدة على الأرض بالقرب من سريرها . عارية تماما تستحم فى بركة من الدماء . وقد انتشر شعرها فى كل مكان بالغرفة . بعد أن احتث بوحشية . وكانت ماقدة الحجرة مفتوحة على مصراعيها . والهواء منتشرة على الأرض بعد أن «دبست» بالأقدام لم تترك ورءاها أى غموض .

لأن القاتل الذى استطيله المرأة فى حجرتها . فر من النافذة . وكان هذا فى حوالى الساعة الواحدة صباحا .

ان ذكرى أعياد الفصح عام ١٩٧٣ ظلت عالقة فى أذهان سكان جزر «إيوى» . هذه المجموعة من الجزر التى تحمل الطابع اليونانى القديم . ومازالت باقية على حالتها من حيث الغدو الخلاب الذى لا صاعة أن تكتشف فيه . فى هذه القرية الخالية الهادئة يسير الناس بخطى بطيئة . اكتشفت الفضيحة الثانية بالصدفة عندما كان أحد رجال الدين عائدا الى منزله . فسمع صيحة صرخة استغاثة . وهناك بعيدا عن شاطئ «مستدة» لأحدى الأشجار . فى أول الأمر ظن الرجل أنها جريحة فرفع طرف ثوبه وأخذ يجرى متطلقا بين الأعشاب والأشجار . ولكن كانت المفاجأة . تسمر الرجل فى مكانه لأن الثانية عارية تماما ومربوطة بالشجرة

وكانت شقراء ايطالية جاءت للنزهة مع بعض أصدقائها . وأرادت أن ترتاح قليلا لتصل إلى قرية صغيرة بحثا عن شئ ما . وبعد بعض الكاكهة أو الخضراوات فهاجمها رجل مسلح وترع عنها ثيابها . ومن المؤكد أنه كان ينوى «اغتصابها» . ثم فجأة غير رأيه وتركها مولقة بالشجرة . واختفى بين الظلال .

لم تستطع الثانية المسكينة وسط دموعها الغزيرة . أن تضيف شيئا جديدا . لم تفهم سبا لهذا الهجوم المفاجئ . ثم هذا الهروب الغريب . نظر إليها الرجل كثور هائج . وضع مخدمة حابلا ليخرج مكتما . هددها بها مرة واحدة . ثم تركها فجأة كما لو كانت لا تروق له

فإذا كان هذا الخيال هو نفس القاتل أو نفس الثور فى الجريمتين السابقتين . فإذا اذن ترك ضحيته ؟ لقد لعب لعبة مع هذه الثانية المسكينة . لأنها لم تكن شقراء حقيقية . وهذا الذى لا يفتح إلا عن قرب .

كان رئيس شرطة بوليس الجزيرة التى لا يزيد عدد سكانها على ٣٠٠ أو ٤٠٠ نسمة . على علم بكل تلك الأحداث والتطورات . ولكن بعد أن أصبح الموقف أكبر منه . طلب المخابرات المساعدات والتعزيزات من القادة . فأرسلت القوات البحرية طائرة هليوكوبتر وزورق بمحرك . وكان رئيس شرطة البوليس قلقا . إذ كيف يمكن تحريره من حوالى ٤٠٠ رجل . هم عدد سكان الجزيرة . موزعين على مساحة تبلغ حوالى ٣٠ كيلو مترا . فى ثلاث قرى متزاحمة متلاصقة . وحتى تصل الإمدادات العسكرية . اتخذت الإجراءات الأولية التى تركزت فى تحذير سكان الجزيرة عن طريق الإذاعة مع احتياطات الأمن . وقبل أن يأتى المساء كان عليهم أن يحكموا إغلاق النوافذ والأبواب

أما اليوم التالى فكان يوم الجمعة المقدس . وفيه يقوم سكان الجزيرة بملاء واجهة المراقد وخلط النباتات بعطرة بلحم الخراف الشهى . ولكن فى هذ اليوم لم يشعر الناس بفرحة الأعياد . وأغلقت المحلات التجارية أبوابها . ولم تبدأ السوق كالمعتاد فى الصباح . لأن بالجزيرة رجلا عاريا يقتل الشقراوات . حلقت الطائرة الهليكوبتر ماسحة الجزيرة كلها ذهابا وإيابا . كما تحرك الزورق فى دوريات منتظمة بطول الشاطئ وبالتوقف . فوق المياه الخالية من السياح السائب زورق بخارى للنزهة . رفع عليه العلم الإيطالى ليلفت نظر قارئ عميد . ووقف قائد الزورق مدهوشا فهذا المنظر الغريب الذى حير على المياه . وبسرعة أخبره أحد الصيادين أن بالجزيرة مجنونا عاريا حاول ليلة أمس اغتصاب امرأة شابة . وأمام ذلك الأباء سأل قائد الزورق رفاقه . وهما امرأتان ورجل عما إذا كانوا يفضلون الذهاب الى جزيرة أخرى أولا

وأثناء هذا التردد خرج عليهم من شارع ضيق رجل قوى الضخم . كأنه كتلة متحركة كان يرتدى بنطلون جينز وقميصا أبيض . القرب منهم . ومن خلال رموشه السوداء الطويلة يرمق بنظراته الحادة . كان الرجل يعرج قليلا . وسألهم فى تلعثم عما إذا كانوا قد التقوا فى طريقهم بمخت أبيض جميل .

فأجاب أحد الركاب بالإيجاب . وأن اليخت اتجه إلى جزيرة قريبة . ومرت الدقائق . وبوسط هذا الهدوء الغريب فى المياه بدا وقع خطوات لم تضح فى أول الأمر . وظهر أنها لرجل عمى كان يرتدى ملابس . وكان بجوار جمل الصارى العملاق للزورق الوحيد الذى يجوب فى المياه إنه الشرطى الوحيد بالجزيرة . وبسرعة مذهلة أطلق الرجل الثيران ليسقط رجل البوليس على الفور على الأرض فتطورت الأمور بسرعة . وفى ذهول الصحب الإيطاليون الأربعة أن زوجاتهم . ولكن بعد أن خلق بهم برعم الخوف . شاهدوا ملاحا . مهددا

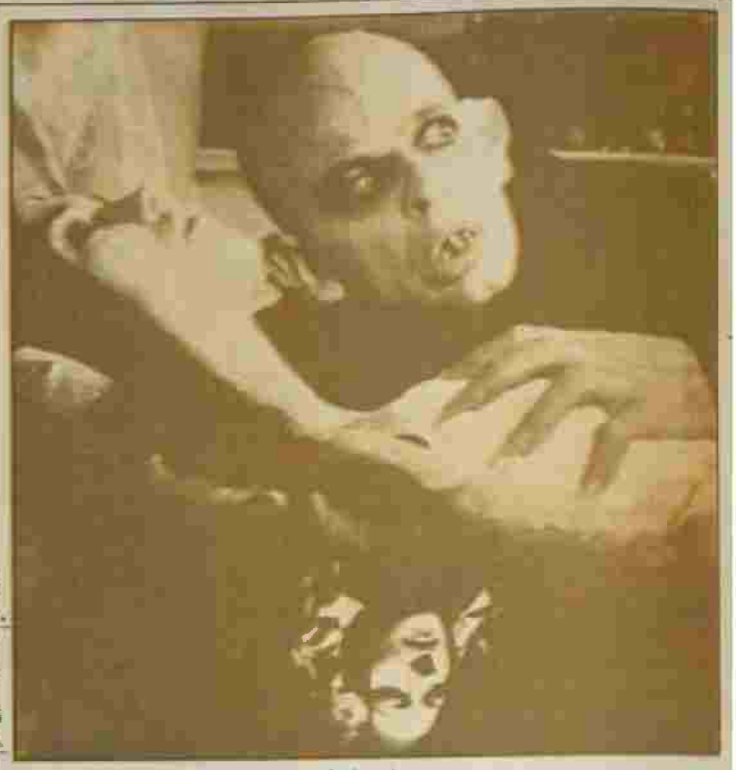

تصميم محمد الراعي

قام الزورق بالتوجه إلى الجزيرة القريبة ، حيث البحث الأبيض الجميل ، مثل النور الذي في سباق الجنون للبحث عن مصارعه الحسناء . في هذه الأثناء حدث لبس غريب إذ لم ير أحد القاتل وهو يستقل الزورق الذي غادر الميناء بطريقة طبيعية . كما فعل الآخرون . ولم تتضح حقيقة الأمر إلا بعد الظهر ، عندما وصلت القوات النظامية التي خصصت اثنتان من رجال الأمن ، ولم تسفر تحرياتهم عن أية نتيجة حاسمة ولم يشك البوليس في أمر هذا الزورق إلا عندما لم يرد على نداءاته اللاسلكية المتكررة . كان المعروف أن أصحاب هذه الزوارق يستخدمون الأجهزة اللاسلكية التي غالبا ما تكون معطلة .

وفي حوالي الساعة الثالثة حلقت الطائرة الهليكوبتر - طبقا لمعلومات بعض الملاحين فوق نقطة صغيرة اقتنص أنها زورق خاوي . فاقتربت الطائرة منه ، وكان هو الزورق الذي يحمل الرجل الغارب ، الذي اندفع وسط المياه ناحية الجزيرة المنشودة .

أخذ قائد الطائرة يبط أكثر فأكثر ، حتى كاد يلمس قمصة جيد أمواج البحيرة . وتلقى الطيار إشارات المراقب ، فاعتقد في أول الأمر أنهما تريدان أن يبعد الابتعاد ولكن عندما زاد ضرباتهم بسبب الضوضاء التي تحدثها حركات الهليكوبتر فهم أخيرا أن الجنون فوق الزورق يحتجز الرجلين داخل كابينة القيادة . وعن طريق جهاز اللاسلكي بعث الطيار بإشارة ، فاتجهت لرجال السواحل تحددا الاتجاه والمسافة ويطول الشاطئ الغربي . في حوالي الساعة السادسة مساء . بدأ الزورق يقترب ببطء من الميناء . وبعد أن توقف استعدادا للوقوف . بكل اطمئنان وارتياح وثقة . استقبل رجال الأمر الزكاب الأربعة متسائلين عن الرجل المجنون . فأجابهم الزكاب على الفور بأنه غادر الزورق . وعلى بعد مائة أو مائتي ذراع فضل الرجيل داخل زورق صغير . وكان هو الرجل الأيطالي الذي يبحث عن البحث الأبيض الجميل

وبعد أن أخطر البوليس البولاي المكتب المركزي الوطني للأنتربول في أثينا . طلب من مكتب روما معلومات عن هذا الرجل الأيطالي الغارب . وعلى الفور كشف الأنتربول عن شخصيته فكل المطلوب من رجال البوليس الآن هو أن يعثروا على البحث الأبيض قبل أن يعثر عليه القاتل . لكن من المعروف أن بعض الثيران لها ردود فعل غريبة وغير متوقعة على الإطلاق . فقد رحيل القاتل لم يهدأ خطة . أثناء هروب الأخير أوقف سيارة على الطريق تقودها امرأة فرنسية في الأربعين من عمرها . وبالقرب أبنتها الشقراء الحسناء ذات الست عشر ربيعا . وطلب من المرأة أن توصله إلى الميناء . وعندما شكت المرأة في مظهره تردد بعض الشيء . لكن الرجل لم ينتظر . وأخرج سلاحه مهددا إياها . وما أن السيارة بالميناء حتى قفز الفتاة الصغيرة للنزول ليتركب الرجل في المقعد الخلفي . وحتى تكونا تحت حراسته . ولكن أمام نظرات الجنون شعرت الفتاة الصغيرة بالرعب . وأخذ الرجل يتحسسها من قدميها حتى شعرها الأشقر . وعندما بدأت السيارة في التحرك جذبها من شعرها الأشقر الطويل . فانطلقت الفتاة جامدة بالمقعد . وأخذت تصرخ حتى يتركها لكي الجنون أخذ يردد : « عندما أتركك » .

وثبت الحدقة معلقة . فالرجل مجنون من شدة الثورة والغضب الذي اجتاحه فجأة أمام هذا الشعر الأشقر . وبدت نظراته مخيفة . وبلا تردد استدرت المرأة في قيادة السيارة بسرعة مذهلة . وصاحا لا تعارفان ابنتها المسكينة الشاطئ الوحيد ولم يلفتها من هذا الموقف سوى حادث عارض . فأثناء تحولهم الميناء . وعند بداية الطريق . اصطدمت المرأة بأتوبيس عام . وأمام دهشة الزكاب فقز الرجل من السيارة عاريا بعد أن أطلق ثلاث طلقات في الهواء في اتجاه السائق الذي نزل على الفور من مكانه ليمسك به . ولكن الرجل المجنون اختفى في بحر البحر .

وفي صباح اليوم التالي أدرج اسم المؤسف على سكان الضاحية الذين أخذوا يتحدثون بدورهم عن الثورة عن قاتل الشقراوات . حتى رجال البوليس أنفسهم بدأوا يشكون في إمكانية الإيقاع بالقاتل . فالجزيرة الجديدة واسعة شاسعة .

في الصباح استولى القاتل على زورق صغير . وتمكن من عبور المضيق إلى مكان يبعد حوالي عشرين ميلا .

والغريب أنه أثناء وجوده خطف امرأة أخرى . شقراء في الخامسة والثلاثين من عمرها . قابلها بين الصخور . وبعد الاعتداء عليها قتلها تاركا إياها بالسكين .

وعن طريق بعض الصور التي قدمتها مكتب الأنتربول . تعرف البوليس اليوناني على القاتل الذي دخل قرية صغيرة وسط الجبال . وبدأ الجنون بدائه الطويلة وملابسه القذرة التي تحمل بقع الدماء . تمثلا من شدة التعب . وبالرغم من ذلك أخذ يتبادل الطلقات مع رجال البوليس الذين تتبعوه في كل مكان وفي النهاية استقرت أجسادها في قدميه . لكنه في مثل هذه الحالات من الجنون لم تمنعه الإصابة من مواصلة الهرب .

وفي هذه الأثناء عبر البوليس السواحل على « البحث الأبيض » الذي وجد مختبئا في هدوء روماتيكي في فجوة جبلية صغيرة .

وفوق الخليج حلقت الطائرة الهليكوبتر التي تولت حراسة الشاطئ كله . وفي دهشة ظلت الملايكان ضاحية العيون الزرقاء البيضاء ، وتصدع مبانيها الزوجة . وطلب رجال البوليس من المرأة وصديقها الكاتب المعروف البقاء وسط الماء فلا داعي للنزول الآن إلى الشاطئ .

وظلت المرأة الشابة فوق البحث تنظر حولها . تتأمل هذا المنظر الطبيعي الخلاب وتلك الصخور المتباعدة ، وهذه المياه الشفافة ، وتلك الرمال الذهبية التي تحيط بها الغابات الشوكية . وهذه الشاطئ الوحيد ولم يلفتها من هذا الموقف سوى حادث عارض . فأثناء تحولهم الميناء . وعند بداية الطريق . اصطدمت المرأة بأتوبيس عام . وأمام دهشة الزكاب فقز الرجل من السيارة عاريا بعد أن أطلق ثلاث طلقات في الهواء في اتجاه السائق الذي نزل على الفور من مكانه ليمسك به . ولكن الرجل المجنون اختفى في بحر البحر .

وفي صباح اليوم التالي أدرج اسم المؤسف على سكان الضاحية الذين أخذوا يتحدثون بدورهم عن الثورة عن قاتل الشقراوات . حتى رجال البوليس أنفسهم بدأوا يشكون في إمكانية الإيقاع بالقاتل . فالجزيرة الجديدة واسعة شاسعة .

في الصباح استولى القاتل على زورق صغير . وتمكن من عبور المضيق إلى مكان يبعد حوالي عشرين ميلا .

والغريب أنه أثناء وجوده خطف امرأة أخرى . شقراء في الخامسة والثلاثين من عمرها . قابلها بين الصخور . وبعد الاعتداء عليها قتلها تاركا إياها بالسكين .

وعن طريق بعض الصور التي قدمتها مكتب الأنتربول . تعرف البوليس اليوناني على القاتل الذي دخل قرية صغيرة وسط الجبال . وبدأ الجنون بدائه الطويلة وملابسه القذرة التي تحمل بقع الدماء . تمثلا من شدة التعب . وبالرغم من ذلك أخذ يتبادل الطلقات مع رجال البوليس الذين تتبعوه في كل مكان وفي النهاية استقرت أجسادها في قدميه . لكنه في مثل هذه الحالات من الجنون لم تمنعه الإصابة من مواصلة الهرب .

وفي هذه الأثناء عبر البوليس السواحل على « البحث الأبيض » الذي وجد مختبئا في هدوء روماتيكي في فجوة جبلية صغيرة .

وفوق الخليج حلقت الطائرة الهليكوبتر التي تولت حراسة الشاطئ كله . وفي دهشة ظلت الملايكان ضاحية العيون الزرقاء البيضاء ، وتصدع مبانيها الزوجة . وطلب رجال البوليس من المرأة وصديقها الكاتب المعروف البقاء وسط الماء فلا داعي للنزول الآن إلى الشاطئ .

وظلت المرأة الشابة فوق البحث تنظر حولها . تتأمل هذا المنظر الطبيعي الخلاب وتلك الصخور المتباعدة ، وهذه المياه الشفافة ، وتلك الرمال الذهبية التي تحيط بها الغابات الشوكية . وهذه الثانية الوجيزة التي استمرت فوق الزلقات . حتى هذه اللحظة لم تر المرأة أمام عينيها سوى تلك الصور الرائعة . ولم تشعر أن النور المزيج حقيقة هناك فوق الربوة وبين الصخور . لكنه عند أسفل حائط من الحجارة ظهرت من بعيد أشباح حضراء تتحرك في زيها الرسمي . وتحرك القاتل خلفه . وبدا كتائه معلق بين السماء والأرض . ووسط المياه الصافية لمع البحث الأبيض . وقد وقف بجانبه زورق بوليس السواحل ورجال الأمن وهم يتحدثون إلى « مصارعته » الشقراء . ومن بعيد لم يتمكن الرجل من إصابة الهدف . لكنه لو استطاع أن يصل إلى هذا النزل الموجود إلى اليمين وسط هذه الشرعة القديمة على حافة الشاطئ الصخري . لأمكنه اطلاق النيران .

وزحف الرجل متسللا . واندس أخيرا داخل المبنى القديم . على حافة الشاطئ الصخري . لكنه أثناء الدخول فجأة امرأة عجوز . كانت ترتدي الملابس السوداء . ووجهها تحمد داخل . الميناء وسط هذه الخيال . وهي من سلالة جزيرة ماسلة الشعب لم يعرف القهر أبدا حتى أمام الزحف التركي أو الغازي . فهي لا تعرف الخوف . لكنها تعرف كل شيء لقد تعلمت الأشياء في الإقامة . وتعرفت على القاتل الذي أصابه العمى من شدة الغضب والثورة . وبعد أن أوشك على الوصول إلى هدفه لم يفر المرأة العجوز أي انتباه . فأمسك بسلاحه وقد احتفظ في جيبه بقصة شعر شقراء وضعه السلم الذي يؤدي إلى الدور الأول . نظرت المرأة العجوز إلى أعلى . متتبعة خطوات الرجل . ثم بيديه واقفة تناولت بندقية . كانت تحتفظ بها على الحائط خلف الباب . مزودة بطلقتين فقط . وعندما سمعت وقع خطواته وهو يقترب من النافذة . رفعت يديها إلى الشعر وضغطت على الزناد . انطلق الطلقة الأولى . أما الطلقة الثانية فقد احتفظت بها داخل البندقية وهي مصوبة نحو السلم استعدادا لهجوم مفاجئ . لكنها لم تكن في حاجة لها . لقد دوى صوت مزعج أهز له السقف كله . وتطايرت الأتربة داخل الحجرة الواسعة في الدور الأول . وسقط الجسد الضخم على الأرض .

ومات الثور . لكن « مصارعته » الحسناء لم تعرف اللقطة عليه حتى هذه اللحظة .